

The ethnological approach: "The concept, methods, goals, and their importance in studying living artistic spaces."

Dr. Nisreen Al-Ahwal



Nesrine_music@hotmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000- 0003-4452-9929, DOI, PP 209-225.

Abstract: This research main orientations are based on highlighting the importance of the ethnocentric approach in social studies, precisely in cultural anthropology researches , through its study of the lively spectacular shows. This paves the way for us to focus on its methods, objectives, and scientific and practical mechanisms. This will enable us not only to re-understand these live performative artistic phenomena but also to search for new methodological ways that make our folk cultural revolutions in line with the changes occurring in the rhythm of modern life.

Keywords: Ethnoscience, concept, methods, and live artistic performances.

المقاربة الاتنوسينيولوجية: "المفهوم والمناهج والاهداف واهميتها في دراسة الفرجات الفنية الحية"

الملخص: إن توجهاتنا الأساسية في هذا المبحث تنطلق من إبراز أهمية المقاربة الاتنوسينيولوجية في الدراسات الاجتماعية وبالتحديد في مباحث الأنثروبولوجيا الثقافية من خلال دراستها للاحتفالات الفرجوية الحية. لنقف بذلك على مناهجها وأهدافها وآلياتها العلمية والعملية لإعادة فهم هذه الظواهر الفنية الأدائية الحية والبحث عن سبل منهجية جديدة تجعل من مآثوراتنا الثقافية الشعبية الفرجوية تتماشى والتغيرات الحاصلة في ايقاع الحياة العصرية.

الكلمات المفتاحية: الاتنوسينيولوجية، المفهوم، المناهج، الفرجات الفنية الحية.

المقدمة

شهدت العلوم الإنسانية تطورا كبيرا في مناهجها العلمية والمفاهيم التي تقوم عليها مقارباتها البحثية ففرضت نفسها في المجال العلمي وانتهجت مناهج علمية دقيقة في دراسات ومباحثها، مما أهلها لأن تفتح على العالم وتمكن الباحثين من اليات علمية

لدراسة مجتمعاتنا الإنسانية برؤى متجددة ومقاربات تساير التطورات والتحولات المجتمعية المتنوعة والحاسمة. وقد أدى هذا إلى بروز خطاب متجددا ينطلق من تراثنا وهوتنا لينفتح على العالم والآخر المتعدد الاختصاصات والانتماءات والتأويلات.

وتعد المقاربة "الأتنوسينولوجية" من أهم وأحدث المقاربات البحثية في مجال العلوم الاجتماعية والبحث العلمي المتصل بمجال علم الاجتماع الثقافي والأنثروبولوجيا الثقافية وبالتحديد أنثروبولوجيا المسرح. وتدرس الإثنوسينولوجيا الثقافة الشعبية والفرجات الفلكلورية المتنوعة في مفرداتها ومكوناتها وتلاقحها واندماجها وعطاءاتها. فتبحث في الأشكال الفرجوية الفطرية العريقة والأصيلة المختلفة عن بنية المسرح الغربي الأرسطي. أي إنها تدرس مجموعة من الفرجات الإنسانية والأشكال الثقافية والظواهر الإبداعية الفردية والجماعية والتي قد تحمل في طياتها فنيات أسلوبية وتقنية تحوي ابتكارات إجرائية وتقنية وجمالية، وذلك على مستوى الأداء والتعبير والتشكيل. والغرض من كل ذلك هو الفهم الجيد للبعد الجمالي المركب الذي تقوم عليه الفنون المشهدية الإنسانية الحية في كل مظاهرها الثقافية والأدائية، والتي تتضمن في طياتها، بشكل من الأشكال، تعابير درامية، وتحوي لوحات طقوسية ومشاهد مسرحية صالحة لأن تكون مصدرا للمعرفة والإبداع.

وقد أولت الأتنوسينولوجيا كمقاربة جديدة نسبيا اهتماما بالغا بالممارسات الفرجوية الشعبية، فطورت من وسائل البحث والتحليل على اعتبار أن الأشكال التي تدرسها وتخضعها لمناهجها تعد مأثور شعبي يوثق تاريخ حضاري لمجتمع ما. وفقا لهذا المنظور كان من الضروري التخلي عن البعد الواحد في استراتيجيات البحث العلمي لهذه الموضوعات واعتماد منظور تعدد فيه المقاربات، وبذلك تجاوزت هذه المقاربة مقارنة الأنثروبولوجيا الكلاسيكية للفنون الادائية.

سنحاول من خلال هذا المبحث إبراز أهمية المقاربة الأتنوسينولوجية في الدراسات الاجتماعية وبالتحديد في مباحث الأنثروبولوجيا الثقافية من خلال دراسة الاحتفالات الفرجوية في إطارها الحي، والإقرار بأهمية دراستها دراسة متعددة الاتجاهات لا تضعنا في دائرة تكرار واجترار القديم وإعادة عرضه كما هو. لنقف من خلال هذه الدراسة على مفهوم الأتنوسينولوجية وأهدافها ومناهجها وآلياتها العلمية، وأهميتها في دراسة الإحتفالات

الفرجوية الحية.

ا. مفهوم الاثنوسينولوجيا

ويتكون مصطلح الاثنوسينولوجيا Ethnoscenology والذي بلوره الباحث المسرحي الفرنسي جان ماري برادي (Pradier, La scène et la fabrique des corps,) من كلمة الإثنو (Ethno)، والتي تحيل على العرق والأصل والهوية والجدور والثقافة الشعبية، وكلمة (scéno) أو سكينو (skenos) الإغريقية، والتي تحيل على كلمة، (scène)، وذلك بمعنى المشهد الفرغوي، وقد يقصد بها أيضا الفضاء المغطى، أو المكان الذي تعرض فيه الأحداث المسرحية، أو يقصد بها الجسد بصفة عامة. ويعني هذا المصطلح المركب أن الإثنوسينولوجيا تهتم بدراسة الفرجات المشهدية لدى الشعوب القديمة، وذلك باعتبارها ظواهر ثقافية اجتماعية وإثنوغرافية، تعبر من خلالها عن رؤيتها للوجود والإنسان والحياة والكون والطبيعة والقيم والمعرفة، كما تعكس كذلك طبيعة التفكير لدى الإنسان القديم، وطريقة تعبيره وتخيله وانفعاله وتحركه، وكيفية تعامله مع الموضوع الخارجي على المستوى الفني والجمالي والفلكلوري.

تدرس الإثنوسينولوجيا (L'ethnoscénologie)، وذلك حسب جان ماري برادي-Jean Marie PRADIER، (Pradier, La scène et la fabrique des corps,) مختلف الممارسات الفرغوية والسلوكيات الإنسانية في مختلف ثقافات شعوب العالم، وذلك في أشكالها المنظمة وصيغها المقننة. أي إنها تدرس الفرجات الشعبية القديمة والأشكال التعبيرية الثقافية الأصيلة. وبالتالي، فهي تدرس جميع ثقافات شعوب العالم ذات الطابع الفلكلوري بدون استثناء، ولاسيما التي لم تعرف فن المسرح بالمفهوم الغربي لكلمة المسرح.

وبتعبير آخر، فالإثنوسينولوجيا مجموعة من الفرجات الفطرية والثقافات الأثنية المتنوعة، وهي كذلك مجموعة من الأنشطة الإنسانية الحية المتنوعة، ومجمل الفنون المشهدية الاحتفالية والظواهر البشرية سواء أكانت فردية أم جماعية، والتي يغلب عليها الطابع المشهدي المنظم. وفي إطار هذه الأنشطة والفنون الشعبية، يمكن الحديث عن الألعاب، والأعياد، والاحتفالات، والطقوس، والحركات الصامتة، والرقص، والموسيقى، والرياضة،

والجسد، والتراجيديا، والكوميديا، والفكاهة، والأمكنة الدرامية المفتوحة وفضاءات الهواء
الطلق...

تبحث الإثنوسينولوجيا في الأشكال الفرجوية الفطرية العريقة والأصيلة المختلفة عن بنية
المسرح الغربي الأرسطي. أي إن مجموعة من الفرجات الإنسانية والأشكال الثقافية
والظواهر الإبداعية الفردية والجماعية قد تحمل في طياتها فنيات أسلوبية وتقنية، وأفكارا
جادة وهامة، ومتعة جمالية، ويمكن أن تتضمن كذلك معارف بيداغوجية تطبيقية، وتحوي
ابتكارات إجرائية وتقنية وجمالية، وذلك على مستوى الأداء والتعبير والتشكيل (Jean-
Marie, la profonde des émergences, 1996, p. 48)

II. تاريخ تطور الإثنوسينولوجي

وقد ظهرت اليوم عدة مراكز للبحث الإثنوسينولوجي تهتم بالفرجات الشعبية العرقية
الأصيلة سواء في دول الشمال أم في دول الجنوب كفرنسا، والبرازيل، والمكسيك، والنمسا،
وتونس (المعهد العالي للفن المسرحي) ... ذلك بتنسيق مع اليونسكو وجامعة باريس
الثامنة. وكانت بداياتها الأولى بمختبر الأبحاث المتخصص في دراسة الممارسات الفرجوية
الإنسانية الحية بجامعة باريس الثامنة، وذلك بفانسان سانت دونيس Vincennes Saint
Denis.

وارتبطت انطلاقها الأولى أيضا بمنظمة اليونسكو، ودار ثقافات العالم التي كانت تعنى أيما
عناية بكل ثقافات شعوب العالم تنظيرا وتطبيقا وبحثا وعرضا، واقرنت كذلك بمجموعة
من الأساتذة والباحثين البارزين، مثل: جان ماري برادي Jean-Marie Pradier ، وجان
دوفينو Jean Duvignaud، وأندري مارسيل دانس André Marcel d'Ans، وشريف
خازنادار Cherif Khaznadar ، وفرانسواز كرونند Françoise Gründ، وجيلبير روجي
Gilbert Rouget ، وباتريس بافيس Patrice Pavis ، وكلود بلانسون Claude Planson
وغيرهم... وبعد ذلك، انضم إليهم مجموعة من الأساتذة والباحثين الجامعيين من داخل
فرنسا وخارجها، وخاصة الأساتذة الجامعيين البرازيليين، ومنهم على سبيل الخصوص :
أرميندو بياو ...Armando Biao

ويلاحظ أن هذا التخصص الجديد قد شارك في بلورته مجموعة من الباحثين في مجالات ثقافية متنوعة، فهناك من يشتغل في مجال المسرح مثل: جان ماري برادي، وهناك من يهتم بسوسولوجية المسرح كجان دوفينو، وهناك من يعنى بالأنثروبولوجيا كأندري مارسيل دانس...

هذا، وقد نظمت شعبة الإثنوسينولوجيا بالجامعة الفرنسية، وذلك بتعاون مع اليونسكو ودار ثقافات العالم، مجموعة من الندوات والمؤتمرات الثقافية والفكرية والمعرفية والبيداغوجية حول الإثنوسينولوجيا، فجمعت ضمن شبكتها المعرفية مجموعة من الباحثين من مختلف بلدان العالم، وذلك في تخصصات علمية شتى كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الموسيقى، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والعلوم، والتكنولوجيا، والسيميوطيقا، وعلم الرقص الفطري، بعض من فروع الأنشطة الفيزيائية والرياضية.

"الاتنوسينولوجي" مصطلح علمي جديد ظهر سنة ١٩٩٥ على إثر ندوة رسمية جرت في مقر اليونسكو في باريس في ٣ ماي ١٩٩٥. ليتطور هذا الاختصاص في غضون ثلاث سنوات فقط، من خلال تنظيم الندوات (Cuernavaca) (المكسيك) في حزيران / يونيو ١٩٩٦، سلفادور (البرازيل) في عام ١٩٩٧ وباريس (فرنسا) في عام ١٩٩٨. وكذلك انجاز العديد من رسائل الدكتوراه في اختصاص الاتنوسينولوجي ethnoscenology. وتنظيم دورات متخصصة للدراسة والبحث والتكوين في هذا الاختصاص من قبل الجامعات الكبرى ولاسيما في جامعات السلفادور ديباهيا (البرازيل) و باريس ٨ (فرنسا). (الأحول، ٢٠١٣). تأثرت الإثنوسينولوجي L'ethnoscénologie ، بالإثنوموسيقى L'ethnomusicologie ، أو ما يسمى كذلك بموسيقى الشعوب الأصلية، والتي ظهرت بدورها في فترة مبكرة قبل ظهور الإثنوسينولوجيا. ولم تظهر الإثنوسينولوجيا إلا من أجل إدراك الظواهر الفنية الادائية الفطرية، ومعرفة مكوناتها الفنية والجمالية فرجوا وثقافيا وأنثروبولوجيا.

III. مجالات الاتنوسينولوجي

تدرس الإثنوسينولوجيا الثقافة الشعبية والفرجات الفلكلورية المتنوعة في مفرداتها ومكوناتها وتلاحقها واندماجها وعطاءاتها. فتبحث في الأشكال الفرجوية الفطرية العريقة

والأصيلة المختلفة عن بنية المسرح الغربي الأرسطي. أي إنها تدرس مجموعة من الفرجات الإنسانية والأشكال الثقافية والظواهر الإبداعية الفردية والجماعية والتي قد تحمل في طياتها فنيات أسلوبية وتقنية، وأفكارا جادة وهامة، وممتعة جمالية، ويمكن أن تتضمن كذلك معارف بيداغوجية تطبيقية، وتحوي ابتكارات إجرائية وتقنية وجمالية، وذلك على مستوى الأداء والتعبير والتشكيل ((Jean_Marie), la profondeur des (émergences, 1996, p. 50

IV. اهداف الاتنوسينولوجي

من المعلوم أن للمقاربة الإثنوسينولوجية مجموعة من الأهداف والغايات القريبة والمتوسطة والبعيدة، ويمكن حصرها في الأهداف التالية: (PRADIER J.-M. 84-96، p. 6/7)

- ✓ المحافظة على التراث الثقافي اللامادي الذي تركته البشرية للأجيال القادمة.
- ✓ دراسة الثقافة الشعبية الفطرية في بعدها الفرجوي والدرامي والاحتفالي بنية ودلالة ومقصدية.
- ✓ الدفاع عن التنوع الثقافي، حيث تهدف المقاربة الإثنوسينولوجية إلى مناصرة التنوع الثقافي، باعتباره مسميا أساسيا للحضارة البشرية، مع رفض كل أشكال التغريب والاستلاب والتدجين والمسح والتشويه، ورفض عولمة الثقافة. وبالتالي، تأتي هذه المقاربة أن تسحق ثقافات الشعوب الأصيلة والعريقة، وذلك باسم التغريب، واستخدام القوة والعلم والتكنولوجيا.
- ✓ جمع جميع أشكال الفرجات الثقافية المتلاشية والمبعثرة والمتناثرة، والتي أوشكت على الاندثار، والعمل على تدوينها ورقيا ورقميا وإعلاميا وبصريا، وتوثيقها توثيقا علميا، مع تسجيلها، بطبيعة الحال، وطبعها ونشرها، بغية استثمار نتائجها معرفيا وبيداغوجيا.
- ✓ دراسة الممارسات الفرجوية الشعبية الفطرية دراسة اجتماعية وإتولوجية وأنثروبولوجية ولسانية وتاريخية ونفسية، وذلك بالتركيز على معطياتها الفنية

والجمالية والمشهدية، ودراسة أشكالها التعبيرية سواء ارتبطت بالرقص أم بالموسيقى أم بالجسد.

✓ مقارنة تلك الظواهر والممارسات الفرجوية العريقة مقارنة علمية، وذلك على ضوء مناهج متعددة، وعلى ضوء الإمكانيات المتوفرة.

✓ اكتشاف الآخر عبر هذه الفرجات الدرامية، ومعرفة ثقافته الموروثة، وطريقة تفكيره، وطبيعة اعتقاداته، ونمط ذوقه، وطريقة التعامل مع الذات والموضوع.

✓ معرفة أنماط التخيل الفني والجمالي وطرائق التعبير لدى شعوب العالم، وذلك أثناء حديثها عن الهوية أو التعددية، أو الدعوة إلى الانسجام الثقافي، واحترام ثقافات الشعوب الأخرى.

✓ العمل على الجمع بين عدة تخصصات، مثل: الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، والمسرح، والموسيقى، والرقص، من أجل فهم الفرجة القديمة، وإدراك الظواهر الدرامية الإنسانية في شتى مظهراتها التعبيرية والفنية والجمالية

7. مناهج الاتنوسينيولوجي

وترتكز مناهج الإثنوسينيولوجيا خلال دراسة الفرجات الحية على مجموعة من المبادئ النظرية والتطبيقية، ويمكن حصرها في النقاط التالية: () , (Jean-Marie) Ethnoscénologie : la profondeur des émergences, in : La scène et la (terre, internationale de l'imaginaire N°5, 1996, p. 13/40

✓ مقارنة الظواهر الثقافية الإثنوغرافية، وذلك باعتبارها فرجات شعبية وممارسات أدائية احتفالية.

✓ تحديد مكونات الأشكال الفرجوية، وترسم طرائق اشتغالها، وتتبع تطورها أو نقواصها.

✓ رصد الأشكال التعبيرية والفرجات المسرحية في أبعادها التاريخية والأنثروبولوجية والفلسفية، مع تحديد بنياتها الشكلية، واستخلاص عناصرها البنيوية والسيمائية الثابتة والمتغيرة، كأن ندرس الحضرة الطريقة الصوفية "العيساوية" مثلا، وذلك بمعرفة

تاريخها، ورصد مكوناتها السيميائية اللفظية وغير اللفظية، وتعرف بناها الفنية والجمالية والكوريجرافية والإيقاعية، وتحليل خطابها الدلالي، واستقراء أبعادها الأنتروبولوجية والطقسية والفلسفية، وعلاقة تلك الفرجة الاحتفالية بالإنسان والمجتمع.

✓ معرفة كيفية استثمار أشكال الفرجات الفطرية أو محتوياتها التراثية، والإفادة من بعض أجوائها لتطعيم العرض المسرحي بمزيد من الأصالة والثراء والتأسيس.

✓ الاعتماد على منهجية الملاحظة والإدراك والوصف والتحليل والتأويل، ووصف الأشكال الفرجوية بطريقة علمية موضوعية.

✓ البحث عن الفني والجمالي والدرامي في تلك الظواهر الفرجوية الثقافية الأنتروبولوجية، سواء أكانت تلك الظواهر بسيطة أم مركبة.

✓ دراسة تلك الفرجات الشعبية الفلكلورية على ضوء مناهج علمية متعددة ومتداخلة، وذلك من أجل تكوين فهم أدق وأعمق بجماليات الفرجة، ومعرفة طرائق اشتغالها أداء وعرضا وفضاء وجسدا وتصويتا وتنغيمًا.

✓ التعامل مع الممارسات الفرجوية الإثنوغرافية، وذلك باعتبارها ظواهر رمزية وسيميائية، وأشكالا علامائية تستوجب الوصف والتفكيك والتركيب.

✓ ربط الفرجة الفلكلورية بكل مكوناتها الجسدية والموسيقية والحركية وطقوسها الأنتروبولوجية والمشهدية.

✓ البحث عن مواطن الإبداع والأصالة في تلك الممارسات الفرجوية الشعبية الاحتفالية ذات البعد اللامادي.

هكذا يتضح لنا أن الاتنوسينولوجي هي الدراسة التي تعنى بالسلوك البيولوجي والثقافي للمؤدي داخل فرجة ما، أي الشخص الذي يشغل حضوره الجسدي والروحي حسب مجموع الطقوس والعادات التي تختلف عن الممارسة العادية. ينطلق "باربا" في تحليله لحركات المؤدي من مبدأ "قبل تعبير" أي أن جسد المؤدي يتعرض لمبادئ كونية هي

نفسها التي تجعل هذه الحركة مفهومة لدى المتلقي الأجنبي (Eugénion Barba et)
(Nicola Savarese, 1995, p. 34

يعتبر (Pavis (Patrice(Pavis), 1996, p. 253 أن كل ممارسة فرجوية ليست فقط منتوجا استينيقيًا، وإنما هي أيضا فعلا اجتماعي، فمجموع حركات المنجز يمكن مقاربتها انطلاقا من الثقافة التي ينتمي إليها هذا الأخير لأنها وليدة سلوك اجتماعي. فالمؤدي يسترجع-وعيا أو بغير وعي-حركات مقننة أو تلك التي أصبحت طقسية داخل الممارسة الاجتماعية اليومية. وتتمظهر الثقافة إذا في مجموع التقنيات الجسمانية (du corps Technique) المصطلح هنا لـ Mauss كطريقة التفكير، طريقة الانفعال، اللمس، النظر، الخ... فرغم البعد الكوني لهذه الممارسات نلاحظ اختلافا خاصا بالانتماء إلى فئة اجتماعية معينة. والانثروبولوجي الدنماركي Hastrup يسمى مجموع هذه العمليات "المعرفة المدمجة" Connaissance incorporée.

٧١. الاتنسينولوجي والفرجات الحية

لقد وضع مصطلح "Ethnoscenology" من قبل الباحثين في مجال انثروبولوجيا المسرح كتعبير علمي جديد لتجنب أي شكل من أشكال التمرکز الثقافي في دراسة فنون الأداء والممارسات الثقافية والتاريخية والاجتماعية في الدراسات الاثنية للأداء « ethnodrame (collectifs, La scène et la terre, 1999, p. 30) " في المسرح وأنثروبولوجيا المسرح وكذلك في علم السلالات البشرية. بحيث يجمع الاتنوسينولوجي (collectifs, La scène et la terre, 1999, p. 31) التخصصات العلمية المكرسة لاستكشاف وتحليل السلوك البشري ، لاسيما الأخلاقيات وعلم النفس وبيولوجيا الأعصاب والعلوم المعرفية والأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والمهارات الأدائية المادية والغير مادية لنموذج المحلي. بحيث تعتمد الإثنوسينولوجيا في دراسات الفرجات الفطرية والفنون المشهدية على مجموعة من المعارف والعلوم النظرية والتطبيقية بشكل مندمج ومتداخل، كالإثنولوجيا، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والسيميوطيقا، والتاريخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والفيزياء، والرياضة البدنية، والموسيقى، والرقص، وعلم المسرح، وعلوم الدين، والفلسفة، والمناهج النقدية الأدبية، والثقافة

الشعبية (الفلكلور).

ويعني هذا أن الإثنوسينولوجيا (, PRADIER J.-M., aspects de l'apprentissage , 1996, p. 84/96) علم مركب من مجموعة من التخصصات والشعب العلمية المتداخلة، والتي تسمح بفهم الظواهر الثقافية اللامادية، وتفسيرها وتحليلها وتأويلها بطريقة شمولية وكلية، وذلك على أسس علمية، وعلى ضوء مناهج موضوعية، تحد، بحال من الأحوال، من طغيان النزعة الذاتية ذات البعد الانطباعي أو الانفعالي، وتجنب كل تمركز إثني ضيق لا يعترف بما لدى الآخرين من أصالة وابتكار وإبداع، وتفادي التصورات العرقية الشوفينية التي قد ترجح عرقا على باقي الأعراق الإنسانية، وذلك باسم القوة والسلطة والعلم والعقل والتكنولوجيا. لتسعى بذلك إلى أن تأخذ في الاعتبار جميع الأنواع الثقافية المتميزة، مشاركة في التطوير التدريجي للعامة. وبذلك تحاول هذه المقاربة الاتنوسينولوجية أن تدرس الممارسات الفرجوية انطلاقا من "الثقافة الأم" وبذلك تبعد كل البعد عن استنساخ النموذج الغربي كمرجع أساسي لدرستها.

ونتيجة لذلك وقع اعاده نظر في مجموعة من المصطلحات المتصلة بالممارسات الفرجوية وأهمها مصطلح "الفرجوي Spectaculaire (شاكر)، ٢٠٠٢، صفحة ١٤٩/١٥٠/١٥١) أصبح موضوع تساؤل الباحثين فاقترحوا استعمال مصطلح "الانجاز" Performance الذي أحدثه J. Grotowski و"المنجز" Performer أي أن المؤدي له قدرة على انجاز معرفة. بذلك فإن الهدف من المقاربة الاتنوسينولوجية ethnoscenology ليس مجرد اقتراح لجرد وصفا للأشكال، ولكن لتحديد ما يحدث عند الأداء. والهدف من ذلك هو دراسة الممارسات البشرية الفرجوية المنظمة وفهم الهياكل والعلاقات التي توحد أشكالها المختلفة. والأهم من ذلك هو إضفاء مصطلح "التنظيم" على الممارسة. والعبارة بالكامل دراسة "سلوك انساني فرجوي منظم" Comportement humains spectaculaire organise. وهي بذلك تجعل هذه الأعمال ممارسات منطقية، منظمة بدل اعتبارها ممارسات اعتباطية عشوائية. وبذلك فان الاتنوسينولوجي تهتم بالعلاقة التي تربط أشكال الفرجة بمحيطها (Jean-Marie)، Ethnoscénologie: la profondeur des émergences، in: La scène et la terre، 1996، صفحة ١٣/١٤). أي دراسة ذات المؤدي وعلاقتها بمحيطها القريب (المتلقي) أو المحيط الشامل أي الثقافة التي تنتمي إليها

المجموعة.

فالاتنوسينيولوجي لا تعني التمحور حول الذات Ethnocentrisme، بل تنسب جذورها إلى (Marcel Mauss 1936) الذي كان من الأوائل الذين دعوا إلى دراسة الإنسان "الشامل" L'homme global، ولهذا الأخير الفضل في اعتبار أن كل ممارسة إنسانية من مأكّل ومشرب أو ملبس، أو تلك التي تبدو للعين المجردة ممارسة تلقائية، أحيانا عشوائية هي في الأصل ناتجة عن عملية تثقيف Apprentissage culturel وفي هذا الإطار عندما نتحدث عن الممارسة الثقافية بمعنى culture performance فإننا لا نحصر موضوع الدراسة في فنون خشبة المسرحية و إنما نحيل أيضا بالذكر "الثقافة الشعبية، وخاصة منها الطقوس والعادات. وكل هذه الأنواع من الفرجة هي بالأساس ممارسات تحمل علامات ورموز الثقافة التي تنتمي إليها وهو ما أطلق عليه Kisten Hastrup "معرفة مدمجة" connaissance incorporée (بشرى، ٢٠٠٢، صفحة ١٥٠/١٥١) أي أن الثقافة تؤثر في جسد المؤدي، حركاته وسلوكه، وفي نفس الوقت تؤثر في جسد المتلقي واستجاباته.

VII. الاستنتاجات

وانطلاقا مما قدم ناقف على ان الاتنوسينيولوجي تدرس الفرجات الحية والفنون الادائية التي تؤثت الاحتفالات الشعبية في الفضاءات المفتوحة باعتبارها فنون ادائية وتعابير فنية تلقائية تمارسها فئة محددة بصفة تلقائية، فالجانب الأكثر تعبيرا للفنون الأدائية التي تأثت احتفالات الجماعة، هو وظيفتها التي ترتبط بالبيئة الاجتماعية والثقافية، وكذلك الدور الذي تلعبه في حياة الفرد الذي ينتمي إلى مجموعة أو شعب يشاركه اللغة والعادات والمعتقدات وغير ذلك. لهذا ظل الاحتفال إلى حد اليوم أكثر الوسائل التعبيرية تلقائية وصدقا، بحيث يمثل الشمولية والأنية وجماعية الإحساس والفهم والتعبير. وعدت الاحتفالات ممارسات فرجوية شفوية شعبية، تتقاطع وتتداخل خلالها الفنون الأدائية فتنتج إبداعات فنية أدائية كالموسيقى والرقص والدراما مشكلة بذلك عروض فرجوية، ترتبط بظروف محيطها الحضارية وتتفاعل معبرة عن المجتمع وعن قضاياها. باعتبار ان العالم الشعبي يقص تاريخه من خلال تظاهرته الاحتفالية الحية. لذلك عدت هذه الممارسات مجالا رحب لمقربات علمية متعددة الاتجاهات ومتنوعة المناهج والمعارف، تتجاوز

المألوف وتأسس لقواعد وقرارات جديدة. لتكون المقاربة الاثنوسينيولوجية Ethnomusicologies الاقرب لباحثين الانثروبولوجيا الثقافية لدراسة الاحتفاليات الفرجية الحية باعتبار ان هذه العروض الادائية الاحتفالية رغم انتشارها وكثرة أتباعها لم تحظ بدراسة علمية تأخذ بعين الاعتبار بمكتشفات العلوم الإنسانية الحديثة كالأنثروبولوجيا الثقافية والانتوسينيولوجي والتي تشمل بدورها دراسة الأخلاقيات وعلم النفس وبيولوجيا الأعصاب والعلوم المعرفية والمهارات الأدائية المادية والغير مادية للنماذج المحلية و"الفرجات المشهدة".

إن الدراسات الاثنوسينيولوجية Ethnoscénologiques تساهم في خلق ثقافات فنية وتكوين يتصور بأنه يوجد شيء يسمى "ثقافات العالم" (باولو، فيفري ٢٠٠٤، صفحة ١٣). ولعل جملة هذه المعطيات هي التي دفعت ببعض الباحثين إلى الاشتغال بهذا المجال، فدراسة الاحتفالات الفرجية الحية في فضائها المفتوح الشعبي ضرورة متأكدة، رغم أن العديد من الباحثين المشتغلين بحقل الأنثروبولوجيا الثقافية قد مهدوا طريق البحث والجمع والتصنيف. فأولدت أعمالهم تلك، مناهج لعلها يسرت السبل بقدر المستطاع وأوجدت طريقا للأبحاث الميدانية. وإن دل هذا فإنما يدل على صعوبة الغوص والكشف في مخزون ثقافي يحمل شحنات ودلالات رمزية تعكس بصورة ما التجارب الحضارية الفنية التي تمارسها فئات واسعة من المجتمع. فاهم ما يميز علم الانثروبولوجيا الثقافية وبالتحديد "الانتوسينيولوجي انه يولي اهتماما كبيرا بدراسة الظاهرة الفنية الحية وسط بيئتها ليبحث في جذورها ونشأتها. الإضافة إلى انه يحاول رصد وفهم الظواهر الإنسانية في سياق معرفة شاملة. تتناول بالبحث ماضي وحاضر المجتمع الإنساني.

وقد أولى هذا العلم اهتماما بالغا بالممارسات الفرجية الشعبية، فطور من وسائل البحث والتحليل على اعتبار أن هذه الأشكال الفنية الفرجية تعد مأثور شعبي يوثق تاريخ حضاري لمجتمع ما. وفقا لهذا المنظور كان من الضروري التخلي عن البعد الواحد في استراتيجيات البحث العلمي لهذه الموضوعات واعتماد منظور تعدد فيه المقاربات، لدراسة هذه الظواهر والأشكال الفرجية، من خلال المقاربة السيسولوجية والسيميولوجيا التاريخية الخ، وبذلك تجاوزت هذه المقاربة مقارنة الانثروبولوجيا الكلاسيكية للمسرح -باعتبار ان هذه الممارسات الاحتفالية يمكن ادراجها ضمن الانماط الشبه مسرحية (ياسر، ٢٠٠٢،

صفحة 61)-لتهتم بالممارسة الفرجية الشفوية الحية، من خلال المقاربة الاثنوسينيولوجية للفرجة التي تأخذ منظور متعددة الاتجاهات لتهتم بدراسة الفرجات المشهدة لدى الشعوب القديمة، وذلك باعتبارها ظواهر ثقافية اجتماعية واثنوغرافية، تعبر من خلالها عن رؤيتها للوجود والإنسان والحياة والكون والطبيعة والقيم والمعرفة، كما تعكس كذلك طبيعة التفكير لدى الإنسان القديم، وطريقة تعبيره وتخيله وانفعاله وتحركه، وكيفية تعامله مع الموضوع الخارجي على المستوى الفني والجمالي والفلكلوري.

تدرس الاثنوسينيولوجي الممارسات الفرجية الحية انطلاقاً من "الثقافة الأم"، لكونها ممارسة تتجاوز الدلالات الشعبية والفولكلورية التلقائية إلى ممارسات أدائية فرجية جماعية تعكس وجدانا وتجربة جماعية تعيشها فئات اجتماعية لها رؤى وشواغل. باعتبارها ممارسة فنية تتداخل فيها جوانب الحياة فهي بذلك "ظاهرة كلية" ونستعير اللفظة هنا من عالم الاجتماع والأنثروبولوجي "مارسال موس" فنحن بحاجة إلى دراسات تعني بتأثير الفنون الادائية على المؤدي وأدائه والمتلقي كعنصر فاعل وفعال في الطقس الاحتفالي.

الخاتمة

ان التوجهات الأساسية لهذه المقاربة والمبحث العلمي الاثنوسينيولوجي تنطلق اساساً من اهمية دراسة الاحتفالات الفرجية في اطارها الحي، والاقرار بأهمية دراسة هذه الاشكال الفرجية دراسة متعددة الاتجاهات لا تضعنا في دائرة تكرار واجترار القديم واعادة عرضه كما هو. فنحن اليوم نحتاج لإعادة فهم هذه الظواهر الادائية كأكاديميين والبحث عن سبل جديدة تجعل من ماثوراتنا الثقافية الشعبية تتماشى والتغيرات الحاصلة في ايقاع الحياة العصرية وهذا يتطلب منا المام بتفاصيل وجزئيات هذه الاشكال الادائية الفنية الشعبية ومن هنا نرى أن كل دراسة عميقة لمخزونات الثقافة الشعبية من شأنها أن تساعدنا على فهم الاحتفالات الشعبية وأبعادها الرمزية والطقوسية.

ان الاثنوسينيولوجي هي محاولة منهجية جادة انبثقت من مناهج الاثنوبولوجيا الثقافية لتدرس هذه الفرجات الشعبية الحية في فضائها المفتوح.

من خلال تجربتنا البحثية في هذا المجال نرى ان هذه الدراسات مهمة وقيمة وازدادت للعلوم الإنسانية عموماً ودراسات الاثنوبولوجية الثقافية، لكن تبقى محاولات بحثية تحتاج

الى التجدد على مستوى المناهج والمقاربات لتواكب تطور المجتمعات الممارس والمنخرطة فيما تبقى من هذه الاحتفالات الفرجوية الحية.

فعلى المستوى الاكاديمي فإنه من الضروري إعادة الاعتبار إلى ثقافتنا الشعبية، وتشجيع الطلبة والباحثين على الاشتغال حولها في كل المجالات، وبأساليب ومناهج علمية متجددة تتماشى وطموحات وتطلعات اجيال اليوم، فتعيد لها الاعتبار بوصفها جزء كبير من الهوية الثقافية للفرد. فمعاهدنا ومخابرنا العلمية المختصة اليوم تحتاج الى اعادة دراسة بعض المناهج الدراسية المتصلة بهذه المسألة ومزيد تدعيمها وفتح مجالات لشراكات علمية مع الاختصاصات المتداخلة مع هذه الاشكال الادائية، لتطوريتها و التعريف بها والمحافظة عليها خاصة ان هذه الاشكال الفنية المدروسة في بحوث الاتنوسينولوجية قطعت اشواط كبيرة من الدرس في بلدان عربية مجاورة وخاصة المغرب. وذلك من خلال تأسيس مناهج وتيارات فكرية وفنية ساهمت في التعريف بها واخراجها من ماضي الاباء والاجداد الى حاضر الشباب. وذلك بجعلهم يقبلون عليها من خلال اخراجها من اطارها المألوف (الساحات العامة، الشوارع....) ونقلها الى المسارح وذلك من خلال توظيف هذه الاشكال الفنية في اعمال "ادائية ركحيه" بإخراج مسرحي سينوغرافيا بنفس شبابي يوظف المخزون الادائي الشعبي القديم في اعمال مبتكرة تحمل تصورات تتماشى وعقليات الشباب، وذلك على مستوى توظيف الحكاية الشعبية والنوادر والنصوص السردية، أو على مستوى أسطرة الحدث الدرامي واستحضار الشخصيات التراثية بما في ذلك الشخصيات المألوفة ك "الراوي" او "الاركوز"، الذي وإن كان مجرد ممثل يعمل في فضاء "الحلقة"، فإن بإمكانه أن يعبر عن موقف تاريخي أو سياسي في العمل المسرحي.

وقد طرح عدة باحثين في هذا المجال هذا الاشكال الفرجوية "الحية" بالتحليل والدرس وأبرزهم الباحث "سمير البشه" الذي صنفها ضمن مسالة الثقافة والمثاقفة في الاعمال الفنية وبالتحديد المثاقفة بين الشكل الفني الموسيقي والعناصر التراثية. وقد اثبت ان هنالك ثنائية تطابق بين "الفرجة الشعبية" و"التنظيرات الغربية"، فجاءت هذه الاعمال في صياغة تعبيرية فرجوية تعتمد اعادة التراث الفرجوي الشعبي، مع اضافة عناصر فنية مسرحية وموسيقية حركية بالأساس، ولكن بنسب متفاوتة. فالأعمال التي انجزها كل من "فاضل الجزيري" و"سمير العقربي"، المتمثلة في عرض "النوبة" و"الحضرة" و"صفاء"

تظهر من خلال تشبع العمل بمعطيات المسرح الغربي وتقنياته. (سمير، ديسمبر ٢٠٠٧،
صفحة ٣٣٤)"

كما دفع البعض الآخر من رواد الفنون الركحية الحية من هذه التيارات المسرحية الحديثة وعلى رأسهم "عبد الكريم برشيد" إلى الدعوة إلى استبدال المسرح الغربي بالمسرح العربي الأصيل، وذلك بفضاءاته الاحتفالية الدائرية، والتي تتمثل على سبيل الخصوص في الحلقة، والأسواق، والفضاءات العامة، وكل ذلك من أجل خلق علاقة احتفالية حميمية بين الممثل والمتفرج، بدلا من خلق انفصال بين الخشبة والراصد: "وباختفاء التمييز بين المتفرج وصندوق التفرج وبين المشاهد(بالكسر) والمُشاهد، بين الواقعي والوهمي، فقد كان لابد أن نراجع كل البناء المسرحي التقليدي وأن نفكر بالتالي في تأسيس فضاء جديد يمكن أن يستوعب الاحتفال المسرحي، ويبعده عن أن يكون طقوسا في كنيسة أو فرجة أمام صندوق سحري، أو تجمعا رسميا في بناية رسمية."

References

Arabic references

- (Shaker), Bushra (2002). An ethnological approach to the episode," Al-Rafid Book, the gap between theater and anthropology, critical approaches on the sidelines of the Theater and Drama Symposium at the University of Tetouan in Morocco. Morocco: Publications of the Department of Culture and Information, Sharjah.
- (Paolo), Scarnecchia. (February 2004). Popular music and high-end music. (A. Al-Samai, Trad.) Tunisia: Mediterranean Publications Alif, Tunisia, first edition.
- (Shaker), Bushra (2002). An ethnological approach to the episode, the book Al-Rafid, the gap between theater and anthropology, critical approaches on the sidelines of the Theater and Drama symposium at the University of Tetouan in Morocco. Morocco: Publications of the Department of Culture and Information, Sharjah.
- (Samir), Basha (December 2007). Acculturation and acculturation in folk singing experiences in Tunisia 1856-1998: a musical and scenic analytical

study, doctoral thesis in arts sciences and techniques, specializing in art theories. Tunisia: Higher Institute of Fine Arts in Tunis.

- (Yasser), Abdul. the one. (2002). The limits of traditional forms of spectacle: Spectacle between theater and anthropology, collective book: Spectacle between theater and anthropology, Tetouan: Publications of the Faculty of Arts and Human Sciences of Tetouan, Seminar Proceedings Series No. 8.
- (Al-Ahwal), Nisreen. (2013). An ethnological approach to vulgar celebrations in the train area: the bride's clothing forum - Hazrat Al-Isawiya - Ashura celebrations as an example. Tunisia: Research to obtain a doctorate degree, Higher Institute of Music in Tunisia.
-

List of references in foreign languages

- (Jean_Marie), P. (1996). The emergence of emergencies. Paris: Babel/Maison des cultures du Monde.
- (Jean_Marie), P. (1996). The emergence of problems. Paris: Babel/Maison des Cultures du Monde.
- (Jean-Marie), P. (1996). Ethnoscénologie: the professor of emergencies, in: the scene and the terre. Internationale de l'imaginaire No. 5, p. 13-40
- (Jean-Marie), P. (1996). Ethnoscénologie: the expert on emergencies, in: The scene and the terre, internationale de l'imaginaire No. 5. Paris: Babel/Maisons des cultures du monde.
- Collectifs, A. (1999). The scene and the surface. Paris: Babel/Maison des Cultures du Monde.
- Collectifs, A. (1999). The scene and the surface. Paris: Babel/Maison des Cultures du Monde.
- Eugene Barba and Nicola Savarese, “. (1995). The energy that dances. Paris: L'art secret de l'acteur, lecture. Bouffonneries.
- Mauss, M. (1936, March-Avril 15). The techniques of the corps. Journal de psychology, XXXII n° 3- 4, p23.
- Patrice(Pavis). (1996). Analysis of spectacles. Paris: Nathan.

- PRADIER J.-M., 1. (. (1996). aspects de l'apprentissage. Paris: Babel/Maison des cultures du monde.
- PRADIER J.-M., 1. (. (84-96). Acteur: aspects of the apprentissage, by Jean Duvignaud, in: Acts of the colloque the theater, the corps and the sciences of the international world l'imaginaire.Paris: Babel/Maisons des monde cultures.
- Pradier, J.-M. (Janvier2000). The screen and the company's fabric. Presses of the Universitaires de Bordeaux: Babel/Maison des Cultures du Monde.
- Pradier, J.-M. (Janvier2000). The screen and the company's fabric. Presses of the universities of Bordeaux: Babel/Maison des cultures du monde.